

علي الطنطاوي

أحمد بن عرفان الشهيد



أحمد بن عرفان الشهيد

علي الطنطاوي

أحمد بن عرفان الشهيد

دار الفكر

الرقم الاصطلاحي: ٥-٠٣١-٠٠٣٦,٠٠
الرقم الموضوعي: ٩٢٠
الموضوع: تراجم وسير
العنوان: أحمد بن عرفان الشهيد
التأليف: علي الطنطاوي
الصف التصويري: دار الفكر - دمشق
التنفيذ الطباعي: مطبعة سيكو - بيروت
عدد الصفحات: ٤٠ ص
قياس الصفحة: ١٤×٢٠سم
عدد النسخ: ١٥٠٠ نسخة

دار الفكر بدمشق
برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد
ص.ب: (٩٦٢) دمشق - سورية
برقياً: فكر
فاكس ٢٢٣٩٧١٦
هاتف ٢٢٣٩٧١٧، ٢٢١١١٦٦
http://www.Fikr.com/
E-Mail: Info @Fikr.com

إعادة 1997
الطبعة الثانية
1399 هـ = 1979 م
ط1 1960

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله نحمدُه ونستعينُه ونتوبُ إليه ونستغفره ونعوذ بالله من شرورِ أنفسنا وسيئات أعمالنا، اللهمَّ اجعل عملي هذا خالصاً لك، اللهم إني أسألك أن تنفع به، وأن تثيبني عليه، وصلِّ اللهمَّ على سيِّدِنا محمد معلم الخير وعلى آله وصحبه ومن تبعهُم بإحسان.

مقـــدِّمة

حكم المسلمون الهند أكثر من ألف سنة ، وخلفوا فيها من المآثر والأمجاد ، ومن الآثار الباقية على الأرض وفي النفوس ، ما لم يفرغ التاريخ بعد من رواية أخباره .

والفضل في ذلك :

لمحمد بن القاسم القائد العربي الشاب الذي وضع أساس هذا الصرح .

ومحمود الغزنوي ، الذي رفع دعائمه ، وشاد أركانه .

وشهاب الدين الغوري الذي أتمه وأكمله .

ولقطب الدين وخلفائه من المماليك ، الذين ثبتوا البنـاء ، وحفظوه ورعوه .

ولبابر وأحفاده ، الذين جددوه ووسعوه ، ورفعوا ذراه .

انتشار الاسلام في الهند

وفي الهنود اليوم مئة وعشرون مليوناً من المسلمين ، ثمانون في باكستان ، وأربعون في الهند ، ولو أن الملوك المسلمين الذين حكموا الهند هذه القرون العشرة ، عنوا بنشر الاسلام ، والدعوة اليه ، وأدوا الأمانة التي وضعها الله في أعناقهم ، كما وضعها في أعناق المسلمين جميعاً ، حين جعلهم خلائف الارض ، ودعاهم الى العمل لإعلاء كلمة الله — لو أنهم صنعوا ذلك ، لكانت الهند كلها اليوم مسلمة .

ولو أنهم أقاموا لمن دخل في الاسلام ، من يعلمهم أحكام دينهم ، ويدلهم على الصراط المستقيم ، لكان المسلمون اليوم في الهند ، على خير من الحال التي نراهم عليها .

ولكن هؤلاء الملوك ، قصروا في الأمرين ، وتركوا الواجبين، إلا نفراً منهم كانوا صالحين مصلحين ، كالملك محمد والملك فيروز من آل تغلق ، والملك مظفر الدين من ملوك أحمدآباد[1]، وأمثالهم من ملوك المماليك الذين حكموا الهند فترة طويلة ، والملك العظيم أورنك زيب من ملوك المغول .

ما نشر الاسلام في الهند هؤلاء الملوك ، بل نشره جماعة من مشايخ الطرق الصوفية ، أعظمهم أثراً في هذا الباب الشيخ

---

(١) في كتابي (رجال من التاريخ) فصل عنه ، وفصل عن اورانك زيب .

معين الدين الجشتي ، المتوفى في أوائل القرن السابع الهجري الذي أسلم على يده نحو نصف مليون من المجوس ، ثم الشيخ علاء الدين اللاهوري المتوفى في منتصف القرن الخامس الهجري ، وقد أسلمت البنجاب على يده . والشيخ فريد الدين الاجودهني المتوفى في أوائل النصف الثاني من القرن السابع الهجري. والسيد علي الهمذاني الذي أسلمت على يده كشمير ، وقد توفي في أواخر القرن الثامن .

* * *

الصوفية في الهند

كانت الصوفية هي الطريق الذي دخل منه الاسلام الى الهند، فملأت (مبادئها) النفوس ، وعمت (طرقها) المسلمين •

وكان أشهر هذه الطرق الجشتية (نسبة الى الشيخ الجشتي) وهي في حقيقتها الطريقة النقشبندية •

والمجددية (نسبة الى السرهندي الذي وصف بأنه مجدد الألف الثاني[1]) وهي من فروع النقشبندية •

والقادرية ، وهم ينسبونها الى الشيخ عبد القادر الجيلاني•

والصوفية لها وجهان : وجه اسلامي أصيل وهو تنقية الباطن ، واصلاح القلوب ، بصدق التوحيد ، ودوام المراقبة ، والتردد بين الخوف والرجاء ، والإخلاص لله في كل عمل ، وحمده على كل نعمة ، والصبر على فرائضه ، وعن محارمه ، وفي بلاياه[2] •

ووجه بدعي دخيل ، هو ما أحدث فيها من القول بأن الشرع

(١) ومن نسله اسرة المجددي الشهيرة التي لها رياسة العلماء في افغانستان ، ومنها الشيخ صادق المجددي الوزير المفوض سابقاً في مصر •

(٢) ومشايخ الصوفية الاولون (الجنيد واصحابه) يصرحون دائماً بان طريقتهم مقيدة بالشرع واقفة عند حدوده ، وايما قول فيه مخالفة للشرع ، فليس من الصوفية المقبولة ، بل هو من وحي الشيطان ، يرد على قائله ، كائناً من كان ، لان الرجال يعرفون بالحق ، والحق لا يعرف بالرجال ، وحكم الشرع نافذ في الجميع ، ولا حكم لأحد على الشرع •

شرعان ، ظاهر وباطن[1] ، ووحدة الوجود ، وسقوط التكاليف ، ومسألة القطبانية ، ودعوى التصرف وأمثالها من الدعاوى الباطلة، المخالفة لما بعث به محمد عليه الصلاة والسلام .

زاوية علم الله

وكان من أكبر هذه الزوايا وأشهرها ، زاوية الشيخ علم الله النقشبندي في (راي بريلي) في ضواحي (لكنو) .

وهو (علم الله) بن معظم بن أحمد بن محمود الشريف ، من نسل الأمير العالم قطب الدين محمد بن أحمد المدني الكردي .

وكان عالماً عاملاً ، وشيخاً من شيوخ الطريقة ، خرج من أولاده وأحفاده ومن تلاميذه عدد من العلماء الأعلام ومن المشايخ الكبار ، توفي سنة ١٠٩٦ هجرية .

وخلفه ابنه (آية الله) فسلك مسلكه واتبع طريقته ، توفي سنة ١١١٦ .

ونجب أولاده جميعاً وصاروا من صدور العلماء في الهند ، منهم محمد المتوفى سنة ١١٥٦ . ومحمد حكم المتوفى سنة ١١٥٠، ومحمد عدل المتوفى سنة ١١٩٢ ، ومحمد ضياء ، ومحمد واضح،

---

(١) وما هو الا شرع واحد باطنه كظاهره ، عماده كله كتاب الله وسنة رسوله، وما فهم منهما وبني عليهما من فقه وتشريع .

ومحمد صابر المتوفى سنة ١١٩٣[١] .

ونجب من أولاد محمد ضياء ، أبو سعيد المتوفى سنة ١١٩٣ وأبو الليث ومحمد معين .

ونجب من أولاد محمد معين هذا محمد معتصم وولده عبد المقتدر ومحيي الدين بن عبد المقتدر، وعبدالشكور بن محيي الدين، وعلي بن عبد الشكور توفي سنة ١٢٨٩ .

ومن أولاد أبي الليث محمد (المتوفى سنة ١٢٥٦) وولده عبد الجليل المتوفى سنة ١٣٠٠ .

ومن أولاد محمد صابر ولده محمد واضح ، وغلام جيلاني ابن محمد واضح ، وسعد الدين بن غلام جيلاني المتوفى سنة ١٢٩٣ .

وكان لعلم الله أولاد أخر نجبوا جميعاً ، منهم محمد هدى ، الذي كان أصغرهم سنا ، وأكبرهم صلاحا وتقى ، وأجلهم أثراً ، ونجب من ولده محمد سنا ، ومحمد حيا بن محمد سنا[٢] .

---

(١) وفي مسلمي الهند ولع بالتسمية باسم محمد ولو تعدد في البيت الواحد ، واعرف اخوة خمسة في لكنو كلهم اسمه محمد هم اولاد اخت صديقنا الاستاذ ابي الحسن الندوي يعرفون بمحمد الاول ومحمد الثاني ومحمد الثالث ومحمد الرابع - وهو صديقنا - ومحمد الخامس وقد لقيته في اذاعة دهلي لما دعيت لالقاء حديث منها .

(٢) وهذه السلسلة من الاسماء التي امللت بها القارىء ، لم اجدها مجموعة في كتاب ، بل استخرجتها من كتب التواريخ والتراجم ، بعد ان تصفحت في سبيلها تراجم علماء الهند جميعا في ثلاثة قرون كاملات ، اي اني قرات اكثر من الف صفحة ، لأكتب اقل من عشرين سطرا . ولست أمن على القارىء ، ولكن أصف الواقع .

وفي الهند أسر كثيرة تسلسل فيها العلماء وخرج منها جلة الاعلام ، من اشهرها اسرة السرهندي والدهلوي والبدايوني ، ومنهــا هذه الاسرة التي حدثتكم طرفا من حديثها .

سبط الشيخ ابي سعيد

وكان من أسباط الشيخ أبي سعيد (أي من أولاد بنته) غلام اسمه أحمد ، أبوه الشيخ محمد عرفان وهو شيخ جليل من شيوخ الطريقة ، وعالم من علماء زمانه .

ربي هـذا الغلام في الزاوية ، فكانت دنياه كلها الدفاتر والمحابر ، والصلوات والاذكار ، ودروس العلم ، ومجالس الوعظ ، لم يعرف من الدنيا غيرها ، ولم ير سواها .

وأقبل ابناء الشيخ عرفان على الدراسة والطلب ، ينظرون في هذه الكتب : يسمعون من أساتذتهم شرحها ، ويحفظونه ليكرروه على من هم أصغر منهم من الطلاب ، الذين يناط بهم تعليمهم ، ويتلقون الطريقة على القاعدة التي وضعها لهم من قبلهم ، وهي الاستسلام للشيخ استسلاماً مطلقاً من كل قيد أو شرط ، وتلقي كل ما يقول بالقبول .

واذا كان العبد يجادل عن نفسه يوم القيامة بنص القرآن ، فليس للمريد عندهم أن يجادل شيخه ، واذا كان الله قد أنزل على نبيه قوله : « وإذا سألك عبادي عني فاني قريب » فلا يحتاج من يدعوه الى واسطة ، فإن لديهم وسائط سموها (رابطة) ماوردت في كتابٍ ولا في سنة .

فانصرفت نفس احمد عن هذه الاوضاع ولم يقبلها ، ولكنه

لم يستطع ان يعلن الاعتراض عليها او نقدها ، لما وضعوا في نفسه من تقديسها وتقديرها ، ولأنه ليس فيمن حوله من يحتمل نقداً لها ، او اعتراضاً عليها .

فانصبت هذه النقمة على دروس العلم التي كانت تلازمها ، فلم يعد يقبل عليها كما كان يفعل اخوته ، لا كرهاً بالعلم ، بل كرهاً بالطريقة ، وما فيها من محدثات لم يعرفها السلف .

اعفاؤه من الدراسة

وكان أخوه اسحق هو الموكل بتعليمه ، فضاق به ذرعا ، وعزم على رفع الأمر الى أبيه .

وأقبل الطلبة يوما على الشيخ يقبلون يده (على عادتهم) وينصرفون ، وبقي اسحاق واقفاً ، على شفتيه كلام يريد أن يقوله ، ولكن آداب الطريقة تمنعه أن يبتدىء شيخه بالكلام ، فهو ينتظر أن يسأله ليبثه شكواه ، فلما سأله شكا اليه مايلقى من أخيه الصغير احمد ، وأنه يرغبه في العلم وهو يرغب عنه ، ويقربه اليه وهو ينفر منه .

فتولى الشيخ الوالد بنفسه تعليم الولد ، وبذل في ذلك جهده ، فما زاد الولد على تعلم القراءة وحفظ سور من القرآن .

فتألم ولكنه استسلم لمشيئة الله ، وتلقى ما قدره راضيا وأعفاه من الدراسة .

وكذلك يصنع المسلم : يعمل للوصول الى غاياته المشروعة كل ما يستطيع ، فان وصل اليها حمد الله ، وان لم يستطع الوصول رضي بما قدر الله ، ولم يقطع نفسه حسرات ، ولم تدفعه الخيبة الى ذم الأقدار ، وارتكاب الحماقات .

تقوى واحسان

وظن أحمد أنه وجد الحرية والانطلاق بالفكاك من قيد الدرس ، ولكنه كان كمن يعيش في الواحة المخضرة الصغيرة ، وهو مقيد بالقيود الثقال ، فلما حلت عنه قيوده ، وأراد الانطلاق في الارض ، رأى الصحراء محيطة به من كل جانب ، تمنعه أن ينطلق ، فعاد مقيداً كما كان .

ما تبدل عليه إلا نوع القيد : كان قيداً من حبال ، فصار قيداً من رمال .

ذلك انه ربي على الدين والتقوى ، وأحيط بقوم لا يعرفون إلا الدين والتقوى ، لم يعرف طريق اللهو ولا وجد من يدله عليه ، وكان الايمان الذي رسخ في نفسه منٌ صغره : من يوم ادرك وصار يميز التمرة من الجمرة ، أقوى من ان ينال منه انقطاعه عن الدرس ، وابتعاده عن مجالس العلم ، فبقي على ما كان عليه : يمشي مع موكب الطلبة ، وان لم يجبر على السير معهم ، ويصنع صنع الطلاب وإن لم يكن من الطلاب .

وأحس كأنما خسر شيئاً بانقطاعه عن الدرس ، فعوض عنه بالاقبال على عبادة الله ، والاحسان الى الناس ، فلم يكن يلهو لهو الصغار ، ولا يعبث عبثهم ، بل كان في جد كجد الكبار ، وزهد كزهد الأحبار ، لا يبالي بمطعم أو ملبس ، يأكل ما وجد ، ويلبس ما تيسر ، وينام حيث ينعس ، ووقته الذي كان يلزم فيه بالدرس ، صار يمضيه في خدمة الأرامل والكهول والأيتام ، فلا يسمع بضعيف أو عاجز ، أو عجوز مسكينة ، ولا يعلم بأحد من المساكين والمحتاجين ، إلا مشى الى بيته ، وتعرف حاله ، ثم حمل اليهم بنفسه الماء والحطب ، وشرى لهم ما يحتاجون اليه ، وجاء به على رأسه ، لا يتكبر عليهم ، ولا يتجهم لهم ، ولا يسألهم أجرا . ولا يقبله منهم إن اعطوه .

وكان دائم الذكر ، لا ذكر اللسان والقلبُ لاهٍ والفكرُ غافل ، بل ذكر من يفكر في كل لحظة أن الله مطلع عليه ، وناظر اليه ، وانه إن لم يكن يرى الله فإن الله يراه .

الى لكنو

وضاق بهذا البلد الصغير وهذه الحياة المتشابهة ، وكان نشاطه الحبيس يقرع جوانب نفسه ، كما تلطم الحمم جوف الارض ، لتتفجر (بركانا) من فوهة الجبل ، فاستأذن اباه (وهو شيخه في الطريق) فأذن له بالرحيل الى (لكنو) .

وفارق (بريلي) في سبعة من رفاقه ، ولم يكن لهم إلا فرس

واحـد ، فكانوا يتناوبون ركوبه ، وكان السيد أحمد قوي البنيان ، متين التركيب ، شديد الاسر ، فترك لهم نوبته ، وقطع الطريق ماشياً •

وكان كل واحد منهم يحمل على كتفيه متاعه ، فلما رآهم قد تعبوا ، وطلبوا حمالاً فلم يجدوا ، قال لهم :

ـ إن لي إليكم حاجة ، أرجو أن تمنوا علي بقضائها •

قالوا : نقضيها على الرأس والعين •

قال : أكدوا قولكم بالأيمان ، واحلفوا لي أنكم تفعلون ما أطلبه منكم •

فحلفوا له •

فقال : اجمعوا أمتعتكم كلها ، ثم ضعوها على ظهري ، فاني أقدر أن أحملها •

ففعلوا مكرهين ، فحملها كلها ودخل لكنو على هذه الحال •

في لكنو

وكان الانكليز قد وضعوا أقدامهم في الهند ، وامتلكوا مرافقها ، ولكنهم تركوا للامبراطور المسلم الاسم ، وتركوا له شارات الحكم •

وكانت الهند كلها تابعة له اسماً ، ولكن في كل اقليم مملكة أو امارة ، منها ما يسيطر عليه الانكليز ، ومنها ما مدوا اليه أيديهم المجرمة ، ومنها ما تعلقت به أنظارهم الشرهة ومطامعهم الأشعبية .

وكان في لكنو مملكة صغيرة يحكمها ملك شيعي ، وكان التشيع قد دخل الهند من قديم ، ولكنه قوي فيها أيام الأباطرة من المغول[١] .

وكانت (لكنو) من المناطق التي غلب على حكامها التشيع ، ولا يزال فيها الى اليوم أكثر من أربعمئة حسينية[٢] ، وفيها البناء العظيم الذي أقيم على مثال مشهد كربلاء وهو (امام بارا) ولا تزال آثاره الباقية آية في ضخامة البناء .

فلما وصل السيد احمد الى لكنو استقبله أحد الموظفين الكبار ، وأكرمه غاية الاكرام ، وكان هذا الموظف مكلفاً بجمع المتطوعين في الجيش ، فتطوع السيد ، حباً منه في الجهاد ، فسرّ به ومنحه رتبة عسكرية ، فتنازل عنها ، ورضي أن يعمل عمل الجندي العادي ، وكان يطرح نفسه على كل خطر ، وينتدب لكل مغامرة ، ابتغاء الثواب ، ورغبة في الاجر .

---

(١) وهم في الحقيقة من التتر لا من المغول (المغل) ، وان كان اكثر المؤرخين يخلطون بينهما جهلا منهم بحقيقة امرهما ، فهم من أبناء تيمور وتيمور تتري ، والمغول هم قوم جنكيز ، والمغول والتتر مثل ربيعة ومضر في العرب . والشهرة للتتر ولكن الرياسة والوجاهة للمغول ، حتى ان تيمور نفسه لم يدع الرياسة العليا ، بل ابقى على رياسة ملك من آل جنكيز وترك له الاسم ، وانفرد دونه بالحكم .

(٢) الحسينية عند الشيعة المسجد .

الى دهلي

وكان أجمل أمانيه أن يذهب الى (دهلي)[1] لصحبة الشيخ عبد العزيز الدهلوي (ابن ولي الله الدهلوي استاذ الهند وصاحب الحجة البالغة وغيرها من المصنفات) •

فاستأذن في ترك الجندية ، وذهب اليه ، فلما عرف الشيخ نسبته أكرمه ، وعني بـه ، اكراماً لذكرى جـده أبي سعيد ، فأقبل على العلم ، وبدت طلائع نبوغه ، وبوادر عبقريته ، وكـان ذلك سنة ١٢٢٢ هـ ، وكان عمره احدى وعشرين سنة •

العودة الى الجندية

وغلب عليه الشوق الى الجهاد في سبيل الله ، فذهب الى معسكر الامير المجاهد نواب ميرخان[2] ولبث عنده بضع سنين ، يشاركه في حملاته ، ويحضر معه حروبه ، ولكنه لم يجد عنده ما كان يريد •

كان السيد أحمد يريد جهاد الكفار ، والحرب لاعلاء كلمة الله ، لعلهـا تكتب له الشهادة ، وما كل قتال جهـاداً ، ولا كل موت في المعركة شهادة ، انما المجاهد من حارب بقصد اعلاء كلمة

---

(١) اسمها دهلي وقد سماها الانكليز بلسانهم الاعوج : دلهي •
(٢) النواب : نائب السلطنة •

الله . والشهيد من مات في هذا الجهاد ، فلما رأى ميرخان يحارب للمادة والغنائم تركه •

العودة الى دهلي

وعــاد الى دهلي ، فاشتغل بنصرة السنة ، والدعــوة الى الطريقة السلفية •

وكان عجبا كل العجب ، أن ينشأ في رحاب الصوفية ، وأن يتربى في الطريقة النقشبندية ، ثم ينتهي الى السلفية ويحتج لها (كما يقول مؤلف نزهة الخواطر) ببراهين ومقدمات لم يســبق اليها ، ويطلق عبارات أحجم عنها الاولون والآخرون وهابوا ، وجسر هو عليها •

ولعل هذه الدعوة كانت نتيجة لمقدمتين :

أولاهما ، اتصاله بالشيخ الدهلوي وتلاميذه ، وذهابه مذهبه بالرجوع الى السنة ، ومحاربة المحدثات والمبتدعات •

والثانية ، ما انتهت اليه حال الصوفية في الهند ، اذ كانوا (كما قال مسعود الندوي) مرتطمين في أوحال الحلول والوحدة ، عاكفين على رسوم وشعائر لا صلة لها بالاسلام ، ومعظم اشتغالهم بكتب المنطق والفلسفة اليونانية •

وأقبل الناس على دعوته ، وكثر أتباعه وأنصاره •

وكان منهم جماعة من العلماء المشار اليهم ، منهم الشيخ اسماعيل بن عبد الغني الدهلوي (وهو حفيد ولي الله الدهلوي) وكان أحد أعلام العلم والذكاء وقوة النفس وصلابة الدين ، وله مصنفات منها (الصراط المستقيم) الذي جمع فيه أخبار السيد وأقواله ، وله (الايضاح) وهو من أجمع ما كتب في السنة والبدعة • وكان أشد الناس في دين الله ، وأحفظهم للسنة ، يغضب لها ، ويندب اليها ، ويشنع على البدع وأهلها ، وقد لازم السيد حتى قضى معه شهيداً سعيداً ان شاء الله •

ومنهم الشيخ عبد الحي بن هبة الله البرهانوني ، وكان من أجلّ تلاميذ الشيخ عبد العزيز •

وكانت عمته زوجة الشيخ ، ثم زوّجه الشيخ بابنته ، وكان مفرط الذكاء ، قوي الحفظ ، كثير المطالعة ، وكان أحد البلغاء المعدودين ، وقد ترجم (الصراط المستقيم) الى العربية بطلب أهل الحجاز ، وكان واعظاً يؤثر وعظه في القلوب ، لأنه كان تقياً ظاهراً وباطنا •

وألقى الله محبة السيد وهيبته في قلوب الأمراء والعامة ، وتبعه أكثر تلاميذ الشيخ عبد العزيز ، وذلك كله في حياة الشيخ وباذن منه •

وعمت دعوته دهلي .

ودهلي مدينة اسلامية لا تزال الى اليوم عامرة بالمساجد الكبار ، منها مسجد موتى (أي اللؤلؤة) ، والمسجد الجامع الذي بناه شاهجهان (والد أورانك زيب) والذي لا نظير له اليوم في بلاد الاسلام .

وبدأ من دهلي سياحاته في البلاد ، فزار مع طائفة من أتباعه رامبور ، وسهارنبور ، وبريلي ، وشاهجهانبور[1] ، وغيرها من القرى والبلاد ، فانتفع بمجلسه ، وموافقة عمله لقوله ، خلق كثير .

معارضات ومناظرات

وحارب دعوته جمع من مشايخ الصوفية ، ومن المتمسكين بحرفية نصوص الفقهاء المتأخرين ، وعارضوه أشد المعارضة ، وحاولوا أن يؤلبوا عليه العامة[2] ، وكانت بينه وبينهم مناظرات مشهورة ، وكان منهم (كما قال السيد عبد الحي الحسني) مكابرات ، وهو ثابت لا يداهن ولا يهاب ، وكان إقدامه وشهامة نفسه ، يوقعانه في أمور صعبة فيدفع الله عنه .

---

(١) بور : بلد ، ومعناها بلدة شاهجهان .

(٢) وكان اقوى أسلحتهم تهمة الوهابية ، فمن اراد منهم أن يغري العامة باحد المصلحين ، قال لهم : هذا وهابي ! والانكليز في الهند هم الذين يشحذون هذا السلاح ويضعونه في ايدي الناس .

صلاحه

وكان دائم الابتهال ، له أذكار يحافظ عليها في السفر والحضر ، والصحة والمرض ، يؤديها من قلب خاشع ، ومراقبة تامة .

وكان متعبداً ، كثير الصلاة والصيام ، قائم الليل ، قوي التوكل على الله ، يعمل عمل من يعلم أن الدنيا مرحلة من مراحل العمر ، ليست هي العمر ، وان الانسان مهما عاش فيها ، ستين أو سبعين أو مئة أو أكثر من مئة ، فلا بد من أن يفارقها ، وأنه سيبقى بعدها الى ما شاء الله ، في النعيم ، أو في العذاب ، فكيف يضيع نعيم الأبد ، لئلا يحمل مشقة الطاعة ساعة ؟ وكيف يحمل عذاب الابد ، لئلا يضيع لذة المعصية لحظة ؟ وهل العمر كله إلا لحظة من لحظات الآخرة ؟

فكان باطنه كظاهره ، وسريرته كعلانيته ، وفعله كقوله ، يعظ من قلبه لا من طرف لسانه ، فيدخل وعظه قلوب الناس ، لا يقف عند أطراف آذانهم .

زواجه

ورأى أن يستكمل دينه بالزواج ، والزواج سنة من سنن الدين ، لا يجوز أن ينصرف عنه المسلم ، الا لعلة شرعية ، وكان في الهند عادة من عادات الوثنيين تسربت الى المسلمين ، هي أنهم

لا يتزوجون بالارملة ، ولا يكادون يرعون لها حرمة ، أو يرون لها حقاً كاملاً ، فأقدم السيد على أمر عظيم ، الاقدام عليه أشد من الاقدام على الموت الجاثم في المعركة الحمراء ، فتزوج من أرملة أخيه الكبير اسحاق .

وكان أول شريف يصنع هذا ، فلما أقدم عليه اتبعه الناس فيه ، فكانت سنة حسنة ، له ان شاء الله أجرها وأجر من عمل بها بعده ، وهدم بذلك هذه البدعة المنكرة .

بين بريلي ولكنو

أقام مدة في بلدته (راي بريلي) وكان معه الشيخ اسماعيل والشيخ عبد الحي وخلق من العلماء والمشايخ ، يمشون معه ، ويحضرون مجلسه ، ويدعون دعوته .

ثم رحل الى لكنو ، فتابعه الناس فيها أفواجاً ، وأقبلوا عليه ، وتلقاه الوزير معتمد الدولة بالترحيب والاكرام ، وضيّفه وعرض عليه خمسة آلاف دينار فأباها .

وعزم السلطان غازي الدين حيدر ملك لكنو[1] على لقائه فخاف مجتهد الشيعة ، أن يؤثر السيّد في الملك ، فيصرفه عن التشيع ويعود به الى السنة والجماعة ، فاحتال حتى منع هذا اللقاء .

---

(١) يكتبها الهنود بالحروف العربية (لكهنؤ) ولفظها (لكنو) .

الحج

اتصلت جولات السيد وأصحابه ، في مدن الهند ، ورحلاته الى أقطارها ، وكانت البشائر بقدومه تسبقه الى كل بلد ، فاذا ما دنا منه خرج أهل البلد جميعاً الى استقباله ، ومشوا في ركابه ، ثم اجتمعوا عليه ، يستمعون منه ومن أصحابه ، فيشتد التأثر ويعلو النحيب ، فيذكر الغافلون ويتوب العاصون ، ويعود الى جادة الهدى الضالون ، فكان نزوله على البلد كنزول الغيث ، فيه الخير والبركات .

وكانت دعوته الى التوحيد الخالص ، ونبذ الشرك ظاهره وخفيه ، وترك البدع كبيرها وصغيرها ، فأحس الناس بهذه الدعوة عزة الايمان وحلاوته ، وشعروا بأنه قد صب بين جوانحهم روحاً جديدة ، عادوا بها الى مثل حال المسلمين الاولين .

وعزم على الحج وذلك سنة ١٢٣٦ هـ ، فتوجه معه سبعمئة وخمسون من أصحابه ، كان في مقدمتهم العلماء والمشايخ والصالحون ، فلم يركب البحر الى جدة ، بل جاب الهند ، ينتقل بهذا الجمع الغفير من بلد الى بلد .

وكلما حل بلداً ، أحيا في أهله شعائر الدين ، وأعلن فيهم كلمته ، فكان الناس يتهافتون عليه ، يزدحمون في طريقه ليروه ويسمعوا منه ، ويسبقونه الى البلد الذي يقصده .

يتوب العاصون منهم ، ويسلم الكفار ، ولقد دخل في الاسلام في هذه الرحلة جماهير لا يحصيهم العد ، وكان من تأثير مواعظه (كما يقول السيد أبو الحسن الندوي) ودخول الناس في الدين وانقيادهم للشرع ، ان وقفت تجارة الخمرة في كلكته ، وهي كبرى مدن الهند (وفيها خمسة ملايين ونصف مليون منهم مليون مسلم) وامتنع اصحاب الحانات عن دفع الضرائب لكساد بضاعتهم ، وبوار سوقهم .

ركب السفينة من (دلمو) من أعمال (راي بريلي) وهي على نهر الكنج ، وسلك خطة غريبة هي اثر من آثار نشأته الصوفية ، ما أدري كيف ألف بينها ، وبين ما كان يدعو اليه من اتباع السنة ، وهي أنه أخرج ما كان معه من مال ، وفرقه في المساكين ، وقال :

ـ نحن أضياف الله نخرج على الفتح ، لا نحتاج الى الدينار والدرهم .

ومرّ على (الله أباد)[1] و (غازيبور) و (بنارس) و (عظيم أباد) حتى وصل الى (كلكته) وأقام بها أياماً ثم ركب البحر الى الحجاز ، وانتفع به خلق كثير من أهل الحرمين .

واستمرت رحلة الحج أكثر من سنتين ، (من أول ١٢٣٦

---

(١) أباد : مثل بور ، تدل على المحل او البلد .

الى شعبان ١٢٣٩) ، وكانت هذه الرحلة درساً مباركا لكل من صحبه أو لقيه ، وكانت بداية نهضة جديدة ، ما عرف المسلمون مثلها من قرون ، وكانت مظاهرة اسلامية ليس لها (فيما نعلم) نظير •

وكان من بركات هذه الرحلة ، أنها كانت رداً على علماء السوء ، الذين كانوا قد أفتوا بسقوط فريضة الحج[1] لعدم الامن وخوف الفتنة في الطريق ، وكانت تكذيباً لدعواهم •

الدعوة الى الجهاد

وكان من أكبر مقاصد السيد من دعوته ، بث روح الجهاد في المسلمين ، عمل على ذلك في جولاته في الهند ، وفي رحلته الى الحجاز ، حتى اذا استجاب الناس لدعوة الجهاد ، واستعدوا له ، هيأ الله له الاسباب ، فلم يكد السيد يعود من الحج ، حتى تواردت عليه أخبار ما يصنع (السيخ) بالمسلمين في البنجاب ، وما ارتكبوا فيهم من جرائم ، من قتل الأبرياء ، وهتك الأعراض ، وهدم المساجد ، أو تعطيلها أو تدنيسها ، وأن المسلمين لما عجزوا عنهم ، هجروا من أجلهم بلادهم ، ونزحوا عنها وأخلوها لهم •

فهاج ذلك في نفسه الغضب لله ، ولدينه ، ولمحارمه ، وأعلن

(١) كما افتى امثالهم في بلادنا بسقوط فرض الصيام خوف المشقة وبجواز اكل الربا ، وترك الزكاة في اوراق النقد • فعطلوا الفرائض واباحوا المحرمات وضيعوا الدين •

الجهاد ، واستنفر الناس اليه ، فأقبلوا ملبين ، والتفوا حوله ، وبايعوه على الإمارة في ١٢ جمادى الآخرة ١٢٤٢ هـ (١١ كانون الثاني ١٨٢٧ م) .

السيخ

والسيخ (أو السيك) طائفة من المجوس ، من اتباع كرونانك ، وهو مجوسي قرأ كتب المسلمين ، فتأثر بها ، ودعا الى نحلة جديدة هي فرع من الهندوسية ، ومات سنة ١٥٣٣ م ، وكانت دعوته أقرب الى الاسلام من الهندوسية ، وكانت أدنى الى المسالمة ، فتحولت الى دعوة شراسة وعنف ووحشية ، لا نظير لها في الدعوات التي عرفها البشر ، وصار أتباعها أعدى أعداء المسلمين ، ووقعت بينهم وبين المسلمين على عهد السيّد وقبله وبعده ، ولا تزال تقع بينهم ، أشد المعارك .

وهم من أهل البنجاب ، وأهل البنجاب (دون سائر الهنود) أولو بسطة في الاجساد ، ورجولة وقوة ، سواء في ذلك مسلمهم ووثنيهم ، وان كان المسلم (أعني المسلم الحق) يمتاز بأنه أعز في نفسه وأجرأ من كل من يقف أمامه من الناس ، لاعتماده على الله ، ولاعتقاده أن الذي يموت مجاهداً في سبيله ، ينال السعادة الدائمة في الجنة ، فهو لذلك يطلب الموت ، كما يطلب الناس الحياة .

المعارك

كان يقود جيوش السيخ (رنجيت سنكه) ملك البنجاب ، وقد اشتهر بشجاعته وقسوته ، وخبرته بفنون القتال ، فخشي بعض المسلمين ألا يقوى السيد ، ووزيره الشيخ اسماعيل ، على مواجهته بأصحابه ، وهم أصحاب دفتر وكتاب ، ومصلى ومحراب ، ماكانوا أهل قراع وضراب .

ونسي هؤلاء أن الإيمان يصنع العجائب ، وأن عمر كان يرسل العربي المسلم الذي لم يدرس في عمره في كلية حربيــة ، ولا خاض معركة نظامية ، فيقيمه في وجه القائــد البيزنطي أو الفارسي ، فإذا به ينتصر عليه .

ونسوا سعداً أمام رستم ، ونسوا أبا عبيدة أمام قواد قيصر ، ونسوا أخبار الفتح الإسلامي ، من لدن خالد بن الوليــد الى عقبة وموسى ، الى قتيبة والمهلب ، الى نور الدين وصلاح الدين والملك الظاهر[1] .

ولكن السيّد لم ينس ، انه كان يعلم أن على المسلم أن يبيع نفسه من الله في ميدان الجهاد ، ويعمل مايستطيع ويعد للعدو القوة التي يقدر عليها ، والنصر من عند الله .

---

(١) الى محمد الفاتح وسليم وسليمان ، الى عبد القادر في الجزائر ، وعبد الكريم في الريف ، الى جهاد المجاهدين في سورية والعراق وفلسطين وعمان وبورسعيد ، أمة كالغيث لا يدري آخره خير أم أوله !

ما كان النصر مع العدد دائماً ولا مع السلاح ولا مع الخبرة، ولكن لمن يريده له الله ، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين .

وتوجه الشيخ الواعظ ومن معه من المشايخ والمريدين ، الى حرب القائد المجرب المحنك البطاش (رنجيت سنكه) ، والوحوش البشرية التي تتبعه وتمشي معه .

وكان العدو أكثر عدداً وأكمل عُدداً ، وأكثر خبرة بالقتال ولكنه لم ينتصر ، وانتصر المجاهدون ، وهزموا جيوش الطغاة الظالمين المعتدين ، وملكوا بلادهم ، وما زالوا يفتحون حصناً بعد حصن ، حتى احتلوا (بشاور) المدينة العظيمة .

دولة اسلامية

وأقاموا على الحدود الشمالية للهند دولة اسلامية ، تحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

تحل الحلال ، وتحرم الحرام ، وتقيم العدل .

وأذاقت الناس حلاوة الحكم الاسلامي ، فانتشر الامن ، وعم الرخاء ، وساد الإخاء ، وأحس الناس أنهم يعيشون في (المدينة الفاضلة) التي تخيلها الفلاسفة ، وتصورها الأدباء ، ولكن لم يرها الناس حقيقة إلا في صدر الاسلام ، وفي العهود القليلة وفي البلاد القليلة ، التي ساد فيها حكم الاسلام .

بقي السيّد هو الحاكم المطاع في هذه البلاد الواسعة ، كما كان وهو مريد في زاوية جده ، وكما كان وهو طالب في حلقة شيخه ، وكما كان وهو في مجالس وعظه ، وكما كان وهو في رحلة حجه .

ما غيرته الدنيا ولا بدلته ، ولا استهواه ما بلغ من الجاه ، ولا استخفه ما نال من السلطان .

واذا كان في الناس من تبدله رياسة ، أو يغريه المال ، أو تبطره النعمة ، فهذا رجل نال الرياستين الدينية والدنيوية ، وصارت القلوب و (الجيوب)[1] قيد اشارته ، وغدت متع المال ، ولذات الجمال طوع يسينه ، فما وجد فيها كلها ما يميل نظره اليها ، أو يغريه بها .

داء المسلمين

دامت هذه الدولة أربع سنين ، وكانت شوكة معترضة في حلق الدولة البريطانية ، فجربت في حربها سلاح الحديد والنار ، وسلاح المكر والخديعة ، فما نالت منها منالا .

وأغرت بها السيخ فرد الله كيدهم في نحورهم ، وجعل الكرة عليهم .

---

(١) الجيب في الاصل فتحة القميص ولكنا استعملناها بالمعنى الشائع .

فلم تجد لها مخلصاً إلا استغلال السذاجة في بعض النفوس المسلمة ، فترمي المسلمين بعضهم ببعض ، علماً منها بأنه لا يفل الحديد إلا الحديد ، وسرعان ما خدعت شيوخ القبائل الافغانية ، وأغرتهم بهذه الدولة الاسلامية الناشئة ، وأوهمتهم أنها حكومة وهابية[1] وأنها ان قدرت عليهم سلبتهم سلطانهم ، وصادرت أموالهم .

واستعانت عليهم بجماعة من مشايخ السوء ، من المبتدعة والقبوريين ، فأفتوهم بجواز قتالهم[2] ، فصدقوهم ، وساقوا عليها من قبائل الافغان سيلاً من الرجال الاشداء له أول وليس له آخر ، فوضعوا السيوف في رقاب هذه الفئة من المجاهدين ، وقتلوهم راكعين وساجدينَ . ونصروا استعمار الانكليز ، وطغيان السيخ ، على أهل ملتهم ودينهم .

(١) ليس في الدنيا مذهب اسمه المذهب الوهابي ، واهل نجد من اتباع محمد بن عبد الوهاب نفسه حنابلة متمسكون بمذهب احمد .

(٢) وهي فتوى ينكرها الاسلام ، ويأباها الشرع .

المعركة الاخيرة

ولما رأى الشيخ احمد ، والشيخ اسماعيل ، ومن معهما ، انه لا طاقة لهم بهم ، ولم يجوزوا لأنفسهم قتل المسلمين وهم انما خرجوا لقتال الكفار الباغين ، والدخلاء المستعمرين ، انسحبوا قاصدين كشمير .

وكشمير جنة من جنان الدنيا ، ودارة من دارات الاسلام ، يقيمون فيها بعيدين عن السيخ والانكليز وقبائل الأفغان ، فلحقتهم هذه القبائل ، واعترضتهم دونها ، وكانت المعركة الاخيرة في (بالاكوت) ، فاستشهد فيها الامامان ، السيد أحمد بن عرفان والشيخ اسماعيل الدهلوي ، في طائفة من خيار مسلمي الارض ، طائفة لم يجد تاريخ هذه القرون المتأخرة مثلها .

وكان ذلك يوم الجمعة في ٢٤ من ذي القعدة سنة ١٢٤٦ هـ .

* * *

مات الشهيدان السعيدان ، ومات معهما آلاف مؤلفة من المجاهدين ، وماتت الحكومة الاسلامية وهي لا تزال في مهدها ، ولكن الاثر الذي خلفه الامامان الشهيدان لم يمت ، ولن يموت .

لقد كانت دعوة[1] السيد احمد بن عرفان الى احياء معالم الدين ، وتخليصه مما علق به من البدع والمحدثات ورده الى صفائه ونقائه ، وعودة المسلمين الى عقيدة التوحيد ، والى عزة الايمان . والى أخلاق الاسلام وآدابه ، وألا يقبلوا الدنية في دينهم . وألا يرضوا بسلطان إلا سلطان الاسلام ، وأن يكون المسلم اليوم صورة كاملة لما كان عليه المسلم في صدر الاسلام . وأن يكون المثل الأعلى للمجتمع الاسلامي ما كان عليه مجتمع الرسول ﷺ وأصحابه .

رحمة الله عليهما ، وعلى من أيدهما ، وعلى من استشهد معهما ، ورضوانه وبركاته .

---

(١) قد تلتقي مع دعوة محمد بن عبد الوهاب في تجريد التوحيد ، وترك البدع ولكنها ليست منها ، بل هي دعوة فيها كثير من الصوفية وفيها كثير من السلفية والصوفية اغلب عليها .

من ذيول الحركة

لما استشهد الامامان ، ووجد اخوانهم ، وكانوا آلافاً ، أنهم لا يستطيعون عملا ، انسحبوا الى جبال كشمير ومغاورها ، ولبثوا فيها أمداً طويلاً ، صابرين على الجوع والبرد ، يجاهدون الانكليز والسيخ ، وينصرون المظلوم ، ويردعون الظالم ، وضاقت بهم الحكومة البريطانية ، وبمن يساعدهم أو يمدهم ، فكانت تبطش بمن تمسكه منهم ، وتعذبه أشد العذاب ، وربما اتهمت خصومها بأنهم يعاونونهم ، واتخذت من ذلك سبيلاً عليهم •

كانت تعاقبهم بلا محاكمة ولا سؤال ، فاذا أحسّ بها الرأي العام ، أو خافت مراقبة الدول التي تخاصمها أحالتهم الى المحاكم •

وأمامي الآن وصف محاكمة ، كان نشره الاخ الاستاذ ابو الحسن الندوي ، أعرض ملخصاً له ، ترون منه ما نفوس هؤلاء المجاهدين وما ايمانهم وما جرأتهم •

* * *

في اليوم الثاني من مايس ١٨٦٤ م سيق احد عشر رجلاً ، الى محكمة كان رئيسها القاضي الانكليزي (ايدروس) اتهموا بأنهم يسدون المجاهدين ، من أتباع الامامين الشهيدين ، بالمال والسلاح ، وكانت محاكمة صورية ، لم يكن فيها شيء مما يدعيه الانكليز لقضائهم من النزاهة والصلابة في الحق ، واعلن القاضي الحكم .

فدعا بالمتهم الاول واسمه محمد جعفر ، وكان شابا جميلا قويا ، يظهر انه ربيب نعمة ، وسليل شرف ، فقال له :

ـ انك يا جعفر رجل عاقل متعلم ، لك اطلاع على قانون الدولة ، وأنت عمدة بلدك ، وكنت تستطيع أن تكون مخلصاً للدولة ، ولكنك سخرت عقلك وعلمك للمؤامرة والثورة على الحكومة ، وأنا أحكم عليك بالاعدام شنقا ، ومصادرة جميع ما تملك من مال وعقار ، ولا يسلم جسدك بعد شنقك الى ورثتك ، بل يدفن في مقبرة المجرمين ، وسأكون سعيداً مسروراً حين أراك معلقا مشنوقا .

بهذه الروح الحاقدة اللئيمة ، وبهذا المنطق السوقي الواطي ، يعلن القضاة الانكليز أحكامهم .

وكان ينتظر من المحكوم عليه ، أن يجزع ويهلع ، ويستطار لبه ، وينخلع قلبه ، فيذل ويخضع ، يقيس هذا الشاب المسلم على ما عرف من أبناء ملته ، لم يدر ما بطولة المسلمين ، وما ثباتهم .

وإذا بالشاب المحكوم عليه ، يبتسم ويقول هادئا :

انك تتكلم كأنك تملك الموت والحياة ، وما ذلك بيدك ، ذلك بيد الله وحده ، ولعلّ يومك قبل يومي ، ولعلك تمـوت وأنا حيّ .

وراح يضحك .

وكان في الضباط ، ضابط اسمه (بارسن) كان هو الذي تولى تعذيب هؤلاء النفر من المجاهدين ، فأظهر بذلك نفسـه الذئبية التي كان يسترها بهذا الجلد البشري ، فقال له :

ــ أنت مجنون ، يحكم عليك بالموت وأنت تضحك .

قال : بل أنت والله المجنون ، ومالي لا أفرح وقد رزقني الله الشـهادة وكتب لي الجنـة ، فسـعدت أنا وشـقيت أنت وأصحابك .

وحكم القاضي بالموت على رجلين آخرين : شيخ تلوح عليه سيما الصالحين ، وشاب تاجر من كبار التجار ، الأول هو الشيخ يحيى علي الصادقبوري ، والثاني هو الحاج محمد شفيع .

وحكم على الباقين بالنفي المؤبد .

وأخذ الجميع الى السجن ، وحبسوا في الحجر الضيقة ، وأعدت معدات الموت للثلاثة الأول أمام أعينهم ، وهم هادئون صابرون .

وكان الشيخ يحيى علي يعظ السجانين ، ويدعوهم الى الاسلام .

وكلما دخل عليهم نفر من الانكليز ، رأوهم فرحين بالشهادة في سبيل الله ، حريصين عليها ، ينتظرون يومها ، فأرادوا حرمانهم منها ، وجاء حاكم المدينة الانكليزي الى السجن ، وتلا عليهم قرار محكمة الاستئناف ، ونصه :

انكم أيها الثوار تحبّون الشنق ، وتعدّونه شهادة في سبيل الله ، ولا نريد أن نبلغكم أملكم ، وندخل السرور عليكم ، لذلك فسخنا حكم الاعدام وبدلناه بالنفي المؤبد الى جزيرة سيلان .

ونقلوهم اليها ، وشغلوهم الاشغال الشاقة ، (١) وأمر الشيخ يحيى علي بنزع الماء من البئر بالدلو ، وكانت الدلو كبيرة ثقيلة ، لا ينزعها الا الشبان الاقوياء ، وهو شيخ ضعيف واليوم شديد الحرّ ، فنزف الدم في بوله ، ولكنه استمر في شغله ، صابراً محتسبا لا يشكو ولا يتوجع .

وكان يوصي المسجونين ، ويقول لهم :

ــ اذا كنتم تتمتعون هنا بالأكل واللباس ، فلماذا لا تعملون بجد وأمانة ؟

ولم يزل في السجن آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، داعياً

---

(١) ما ياتي من الكلام منقول عن مقالة الاستاذ ابي الحسن الندوي .

الى الله ، واعظاً مرشداً ، حتى تاب كثير من المجرمين ، وأنابوا الى الله .

ونقل بعد ذلك الى (لاهور) ، فسجن مع الجناة واللصوص وقطاع الطرق والفساق ، فكان يقبح لهم الجنايات والفسوق والعصيان ، ويزين لهم الدين والتقوى والعفاف ، ويحثهم على الطاعة والتوبة والإنابة واصلاح الحال ، ويدعوهم الى التوحيد ، والمحافظة على الصلوات والصيام، ويحذرهم من عذاب الله ونقمته .

فتاب كثير من اللصوص وقطاع الطرق ، وحسنت حالهم ، وأخلصوا لله الدين ، وأقاموا الصلاة .

وكان من هؤلاء رجل من بلوخستان ، شديد البطش جبار ، قد سطا على خدم السجن مراراً ، وضربهم بسلاسله ، وعوقب أشد العقاب فلم يتب ولم يلن ، ويئس منه زبانية السجن ، وقطعوا منه الرجاء .

وصادف مبيته بالقرب من الشيخ ، فأثر كلامه فيه ، فرق قلبه ، وصلح حتى فكت عنه سلاسله وأغلاله ، وصار يحافظ على الصلوات الخمس ، ويبكي خوفاً من الله ، ومن رآه شهد بأنه ولي من أولياء الله .

ولم يزل الشيخ ورفقته ، ينتقلون من سجن الى سجن ، ومن مجلس الى مجلس ، حتى وصلوا الى (بورت بيلر) من (جزائر أندمان) فأدركت الشيخ المنية هناك في شباط سنة ١٨٦٨، ودفن فيها .

أما السيد محمد جعفر فقد صدر الحكم بالعفو عنه وأطلق في ٢٢ كانون الثاني سنة ١٨٨٣ بعد ما لبث في السجن ثماني عشرة سنة)[١] .

وخرج من السجن ، فسمع أن القاضي الانكليزي ، الذي حكم عليه بالموت ، مات فجأة على أثر الحكم ، وجنّ الضابط الانكليزي (بارسن) ومات شرّ ميتة .

وبقي هو من بعدهما حياً يرزق ، ليعلم الناس أن الموت والحياة بيد الله ، وانه قد يموت الحاكم ويسلم المحكوم عليه بالموت ، ويذل العزيز ، ويعز الذليل ، ويفتقر الغني ، ويغنى الفقير ، وكل حال يحول ، وكل مخلوق يزول ، وكل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام .

* * *

(١) ابو الحسن الندوي (مجلة المسلمون عدد مارس ١٩٥٢) .